المجاز ودوره في إثراء اللغة في النص الأدبي

(دراسة بلاغية نقدية)

Metaphor and Its Role in Enriching the Language of Literary Text

(Rhetorical and critical study)

د- محمد اقبال[*]

ABSTRACT:

The metaphor in the sciences of rhetoric and linguistics creates decisive division between "literary text" and "general script". That's why literary text in a "linguistic script", had become a sort of change. Therefore, we can describe the metaphor in literary text plays an effective role to enrich the literary language. It is a fact that initially words of language were created to convey the feelings directly of the realities, but revolution was occurred, and words were mold accordingly to the human needs and metaphorical forms progressed rapidly to achieve the goals like wideness, affirmation and likening etc. So, in this article, we wanted to discuss the evolutionary change in meaning of linguistic word and how was usage of word "Majaz" as titles of the Arabic books. In addition to the presence of "Majaz" in the Holy Quran. Then the article will present the brief detail of linguistic experts who discussed the various categories of "Majaz" which perform vital role to enrich the "literary language" and create the linguistic text in an outstanding way. At the end of the article, there is short summary of "Majaz" and its vital role to enrich the "literary text" and to create decisive partition between it and the "general script", in which there is a direct expression of realities.

Keywords: Metaphor, Literary text, Linguistic script, General Script. Arab, Greek.

المجاز هو الذي يؤدي دوره الهام في تشكيل الحدالفاصل في الدراسات البلاغية واللغوية والنقدية بين النصِّ الأدبي والآخر العادي غير الأدبي، ولما كان النصُّ الأدبي هو نوع من التغيير أي التوسُّع والخروج على الأصل والمألوف في التركيب اللغوي، فقد لعب المجاز دورًا هامًّا في إثراء وإغناء اللغة في النصِّ الأدبي. فالمجاز يحدث لدى القارئ من خلال وسائله الأسلوبية المختلفة هزَّةً ولذَّةً عارمةً، حيث يحفِّز القارئ كذلك على الكشف والتأويل والتفسير لدقائق النصِّ وأسراره وصوره.

[*] المساعد، بقسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، اسلام آباد

ولا شكّ أن الكلمات في اللغة وضعت في البداية للتعبير المباشر عن الحقائق، ولكن سرعان ما شملتها سنة التطوِّر تلبيةً لحاجة الانسان وأخذت تتحوَّل الكلمات أن تستخدم إلى الصور المجازية لأغراض متعددة من الاتساع والتوكيد والتشبيه وغيرها، فإنَّ عدم هذه الأغراض أوالأوصاف المذكورة تكون الحقيقة البتة.

لذا أدرك البلاغيون والنقاد واللغويون أهمية المجاز في تجسيد الطاقة المولّدة للنص الإبداعي ومنحه خصوصيته الفنية وتشكيل الحد الفاصل بين النص الأدبي والكتابة العادية، كما هم توسَّعوا في مجالات المجاز وتسمياته، بحيث شملت معظم ضروب البلاغة وأساليبها.

أما أسئلة البحث فهي كالتالي:

1- ما هو التطور الدلالي للكلمة العربية؟

2- متى بدأ المجاز يستخدم كعنوان الكتب العربية؟

3- ما معنى مصطلح" المجاز أبلغ من الحقيقة"؟

4- هل هناك توجد إمكانية "ارتباط المجاز بالكذب"؟

5- هل يوجد "المجاز" في القرآن الكريم؟

6- كيف توجدعناية البلاغيين والنقاد واللغويين بالمجاز وضروبه المتعددة؟

وأخيرًا تشتمل خاتمة المقال على ملخص دور المجاز في تشكيل النص الأدبي وتمييزه عن الكتابة العادية المعبّرة عن الأمور الحقيقية المباشرة.

1- التطور الدلالي للكلمة

ولا شك أن اللغة في أول أمرها، كانت مرتبطة بالدلالات الوضعية والمعاني المحدودة الثابتة، ولكنها تطورت كتلبية لحاجة الانسان فيما بعد، فمن الذي يتتبع لتطور دلالة الكلمات، يدرك أن الكلمة لم تستقرّ على المعنى الذي وضعت له في البداية، بل تحولت إلى مجال آخر وتولدت فيها دلالات جديدة ومعاني متباينة، ولهذه التحولات أسباب لغوية وتاريخية واجتماعية ونفسية.

والتطور الدلالي يعني تغيير معانى الكلمات ظاهرة شائعة في معظم لغات العالم الحية[1]. ومن المعروف أن القدماء قصروا هذا التطور على حقبة زمنية، عرفت بعصور الاحتجاج، ورفضوا الاستعمال الجديد، لأنه لم يؤثر عن العرب الذين يحتج بهم، وسموه مولّدًا، ولكن هذا الموقف لم يؤثر على الحركة الدائبة لتطور الكلمات، لأنه مواكبة طبيعية لنمو اللغة واتساعها، ولقد أورد المحدثون أمثلة كثيرة لتطور الدلالة في مختلف اللغات، ولاحظوا أن هذا التطور غالبًا مّا يكون في الانتقال من المحسوسات إلى المعنويات..[2].

والحقيقة أن الإنسان البدائي قد وجد طلبته في لغته الحسية، التي كانت وسيلته الأولى للإدراك، حتى بدأ

ينساب شعاع المعرفة من وراء هذه المحسوسات ويشقّ طريقه في إعياء وتباطؤ شديد إلى عقل الانسان، و"بعد زمن طويل أخذ الانسان يجرّد المعاني والمفاهيم الأخرى من الأشياء، وبدأ الإدراك الذهني وسيلة ثانية من وسائل المعرفة، واتبعت اللغة المجردة في أثر ذلك، وانتزعت الكلمات من الصور والأجسام لتتمحض الدلالة الذهنية، وحين نتأمل أكثر كلمات اللغة ونراجع أصولها واستعمالاتها، نجد الحسية كامنة هناك"(3).

وعلى كلّ، فمع التقدم الزمني والعلمي والفكري، اتسع أفق الانسان وخياله وعمق وجدانه بالأشياء، وزادت معرفته بعلاقات التشابك بين الأشياء، فأراد أن يعبر تعبيرًا مبيّنًا عن مضمرات نفسه وهواجسه وتطلعاته الروحية والوجدانية، فلم تسعفه تلك التعبيرات الحسية المحدَّدة، فهي تغلّ خياله وتحطّم آماله، فاصطنع تلك التصويرات الكاشفة التي تدني له ما التبس في غوامض النفس، وتطلق العنان ليتواثب فيها الخيال، وهكذا تولّد المجاز وضروبه المتعددة(4).

إن كان أسلوب الحقيقة يقف بالمعنى عند حدٍّ معلوم، فإن المجاز يضفي على المعنى عمقًا بوساطة المدِّ التخييلي للمجاز، إذ أن هناك فرقًا بين قولنا: "رجل هو سيِّد قومه"، وبين قولنا عنه: "قرم"، فإن العبارة الأولى تقف عند حدود الصياغة الحقيقية، بينما تتجاوز الثانية المدلول المباشر إلى هيمنته وقدرته وكرمه ووقاره، فالبلاغيون أدركوا أن للمجاز قابلية عجيبة على نقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال، حتى منها ليسمح بها البخيل، ويشجّع بها الجبان، ويحكم بها الطائش المتسرّع، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر، حتى إذا قطع عنه، أفاق وندم على ما كان منه من بذل مالٍ، أو ترك عقوبة، أو إقدام على مهول، وهذا هو فحوى السحر الحلال(5). كأن المجاز:"ضرورة لغوية، وهو مفخر العرب في لغتهم، وبه وبأشباهه اتّسعت..... (6)". ولذلك كان للمجاز أثر جليل في اتّساع اللغة ونموّها وقدرتها على التعبير على المعقولات المحضة ومعنويات الأمور..... وبفضل المجاز اتَّسعت اللغة العربية للعلوم والفنون على اختلاف أنواعها والحضارة على كثرة مظاهرها(7).وهكذا اعتبره الأجانب بأنه:"جوهر الشعر، وأنه المادة الأولية التي يعتمد عليها الشاعر في بناء صوره المتخيلة"(8).

والأسلوب المجازي يساعدنا على: "أن نحيا أثناء التجربة مع ازدياد في الأناة ومراعاة القصد، ويساعدنا هذا بالتالي على زيادة سوانحنا الخاصة بإدراك لبّ الموضوع، أو الموقف الذي نقوم بتجربته بأسره، وذلك لأن كلّ مجاز يرجعنا إلى نظرة أخرى...."(9). أي أنَّنا ننظر في الأساليب المجازية إلى الموضوع الحقيقيّ من خلال صورة أخرى: هي الصورة المجازية، كما يحدث عندما ننظر إلى الشجاع من وراء صورة الأسد.

ولذلك فإنه يمكن أن يقال: "إنَّ الصور والمجازات تفيد في أن تثير فينا فكرة كان لا نحسّ بها، لولاها إلّا بصعوبة وعسر"(10). وذلك بفضل ما في العبارة المجازية "من التجسيم والحياة أكثر مما في

العلامات العادية"(11).

يفهم من مجموع هذه النصوص وشبهها أنَّ هناك شبه اتّفاق على أن الأساليب المجازية أكثر جمالًا وتأثيرًا من الأساليب الحقيقية.

2- المجاز كعنوان الكتب العربية

والمجاز بدأ يستخدم كعنوان في كتب المتقدمين في مطلع القرن الثالث الهجري مثل: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت:210هـ)، ولكنه لم يكن يعن المجاز بالمعنى الاصطلاحي البلاغي.وقد تنبَّه إلى ذلك ابن تيميّة (ت:728هـ) في "كتاب الإيمان"، فقال: "أول من عرف أنه تكلّم بلفظ "المجاز" أبوعبيدة معمر بن المثنى في كتابه "مجاز القرآن"، ولكنه لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية"(12). ولقد اعتقد المسلمون أن بطالب الدين حاجة ماسة لمعرفة هذا الموضوع، وأن الجهل به يحطّ قدر صاحبه، ويجعله ضحكة يتفكه به، بل لقد رتّب المسلمون على الإيمان بالقضية المجازية مسألة الكفر والإيمان(13).

3- ارتباط المجاز بالكذب

فالتعبير عن الصور المجازية يعنى الاتساع والتجاوز عن المألوف، هو المبالغة بمفهومها الفني، تلك المبالغة التي ارتبطت بالكذب من حيث دلالته الفنية لا الأخلاقية، وقد وصف سيبويه (ت: 180هـ) في القديم: "المجاز" بالمستقيم الكذب(14). وكذلك فرّق البلاغيون بين المجاز والكذب بأن المتجوز متأول في كلامه على أساس العلاقة الواصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ومقيم القرينة التي تعيّن مراده من التعبير دون تمويه أو خداع، والكاذب يعرف همَّته إلى إثبات شيئ غير ثابت أصلًا، وليس فيه علاقة ولا قرينة، وإنَّما هو أسلوب يقوم على فوضى المعاني وعبث الألفاظ، ولا مكان له في دائرة البيان الساحر، وذلك بخلاف الكذب في الصيغة الشعرية، فقد استحسنه البلاغيون لأن أساسه التخيل والمبالغة(15).

وقد أبان عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) عن المذهبين: خير الشعر أكذبه، خير الشعر أصدقه، وقال: والأول أولى لأنهما قولان يتعارضان في اختيار نوعي الشعر، فمن قال: خيره أصدقه، كان ترك الإغراق والمبالغة والتجوّز إلى التحقيق، ومن قال: خيره أكذبه، ذهب إلى أن الصنعة إنَّما يمدّ باعها وينشر شعاعها ويتّسع ميدانها وتتفرّغ أفنانها، حيث يعتمد الاتساع والتخيل ويدّعي الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل وحيث يقصد التلطف والتأويل ويذهب مذهب المبالغة والإغراق(16).

ولذلك اتّهم ابن قتيبة (276هـ) قديمًا الطاعنين على اللغة العربية عامةً والقرآن الكريم خاصةً بالمجاز، والقائلين بعدم جواز المجاز في أسلوب القرآن، وشبههم أن المجاز أخ الكذب، بالجهل وسوء النظر، ووضَّح لهم أنَّ المجاز ضرورة لغوية، لا يستغنى عنها النص الإبداعي قائلًا: "وأمّا الطاعنون على القرآن

بالمجاز، فإنهم زعموا أنه كذب، لأنَّ الجدار لا يريد، والقرية لا تسأل، وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلّها على سوء ظنهم، وقلة أفهامهم، ولو كان المجاز كذبًا، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلًا، كان أكثر كلامنا فاسدًا، لأنّا نقول: نبت البقل وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل ورخص السعر"[17].

ولعل الجاحظ (ت:255هـ) هو أول من ردَّ على من أنكر أن يكون في اللغة مجاز، سواء في القرآن أو في غيره[18]، فهو من المعتزلة الذين أثبتوا المجاز في القرآن وأوّلوا الآيات المتشابهات به[19]. ويقول ابن جني (ت:392هـ): "واعلم أن كثرة اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة"[20].

4- المجاز في القرآن الكريم

فيما يتصل بالقرآن الكريم، فقد ذهب علماء الظاهرية إلى إنكار المجاز في القرآن، بحجة أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزَّه عنه، أن المتكلم لا يعدل إليه إلَّا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله[21]. واندفع فريق آخر إلى إثباته كأهل السنة والمعتزلة والأشاعرة، فقد رأوه طريقًا من طرق التعبير البليغ، ومظهرًا من مظاهر الإثراء اللغوي الذي يتمّ به إشباع رغبة المتكلم في الإبانة عن أحاسيسه وانفعالاته[22].

ثم أشار الباحثون إلى أن المثبتين المجاز في القرآن الكريم، لم يكونوا على درجة واحدة في القول بالمجاز فيه، فالمعتزلة كانوا يرون أنّ للفظ دلالتين : الأولى:وهي عبارة عن المعنى الظاهر المكشوف الذي تستتر تحته الدلالة الثانية، وهي المجاز، كما في قوله I:(يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيْهِمْ)، فالمعنى الأول هو الجارحة، والثاني القدرة، وهو المعنى المجازي.

وأمّا أهل السنة فيرون أنَّ له يدًا كالأيادي، فاللفظ مستعمل في غير ما وضع له، ولكنهم لم يصلوا إلى المعنى المجازي الذي وصل إليه المعتزلة، ونظيره قوله I:(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه)، فالمراد بالوجه الذات، إذ الوجه جزأ مهمّ بالنسبة للذات، فإذا هلك هلكت الذات.

وهذا التأويل مذهب الخلف الذين يؤولون ويحدِّدون المعنى المجازي للفظ، وأمّا السلف فهم يؤولون ولا يحدِّدون، فيقولون وجه لا كالوجوه، فاللفظ ليس مستعملًا في حقيقته عندهم، لكنهم لم يحددوا معناه المجازي، وإن كان الناس بما يألفون حتى تصل المعاني إلى عقولهم مع الرِّفق بهم[23]. وهكذا وصل المعتزلة باللفظ المستعمل في غير ما وضع له إلى المعنى المجازي، وتوقّف أهل السنة عند التأويل، ورفضوا الوصول إلى دائرة المجاز.

يستشف من هذا العرض الموجز أن للفرق الإسلامية يدًا طولى في التفنن إلى حمل قسم من نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي على خلاف ظاهرها، وإنَّ وقفة المذاهب والفرق تمثِّل المرحلة الأولى في البحث المجازي.

5- المجاز وضروبه عند البلاغيين والنقاد واللغويين

والآن نتحدث عن مفهوم المجاز وضروبه في ضوء الموروث البلاغي والنقدي واللغوي عند العرب بالإيجاز والاختصار، فالمجاز عند الجميع سواء عند العرب أو عند اليونان عبارة عن لغة التجاوز عن الأصل والخروج على المألوف في التركيب والصياغة الأدبية، وهو يعتمد عند البلاغيين واللغويين والنقاد على معظم ضروب البلاغة العربية وأساليبها، ذلك لأنهم أدركوا أهمية المجاز في تجسيد الطاقة المولّدة لشعرية العمل الأدبي وإعطاء النص الأدبي ميزته الفنية وخصوصيته الأدبية، فضلًا عن تشكيل الحد الفاصل بين لغة الكتابة الشعرية المعتمدة على الوصف اللغوي وبين لغة الكتابة العادية المعبرة عن الحقيقة.

لذلك حاول البلاغيون والنقاد الوقوف على الخصائص والعلامات التي تميّز ما بين لغة النص الأدبي ولغة الكتابة العادية المعبِّرة عن الحقيقة. والمجاز يعني التغيير، هو الذي يحدث لدى المتلقي من خلال وسائله الأسلوبية المختلفة هزَّةً ولذَّةً عارمةً حيث يحفِّز المتلقي كذلك على الكشف والتأويل والتفسير لدقائق العمل الفني وإيحاءاته وصوره، فكأنه مع ضروبه المتنوعة يفيد- كما سبق- في اتساع اللغة ونموِّها وقدرتها على التعبيرات العقلية والأعمال الأدبية(24).

ولقد تحدث عن المجاز سائر العلماء البلاغيين والفلاسفة والبلاغيين والنقاد لم يفطنوا إلى الفرق بين المجاز ومعظم ضروب البلاغة الأخرى إلى القرون التالية الكثيرة، وتوسعوا في المجاز حتى شمل معظم ضروب البلاغة العربية، ولكن هنا نكتفي بذكر بعض النماذج كالآتي:

1- سيبويه (180هـ): تحدث أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه عن المجاز، وعنى بالتعبير عن الأساليب المجازية: الاتساع في الكلام، يعني الخروج عن المألوف في التعبير اللغوي، فقال: "استعمال الفعل في اللفظ، لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار....." (25).

وعبَّر عن هذا الفهم بالأمثلة التالية التي تبيّن مفهوم المجاز عنده، ذلك المفهوم الذي هو عبارة عن الاتساع والإيجاز والاختصار، حيث يقول موضِّحًا هذا الفهم: "حملت الجبل، وشربت ماء البحر........" (26).

2- الجاحظ (255هـ):ولعلّ الجاحظ هو أوَّل من استعمل المجاز بالمعنى المقابل للحقيقة، فواضح من النقل عنه أن المجاز عنده: "هو استعمال اللفظ في غير حقيقته، على سبيل التوسع من أهل اللغة ثقة من القائل بفهم السامع"(27). أدرك الجاحظ كسابقيه أو معاصريه أن العرب قد تنقل الألفاظ من معانيها القديمة إلى معان جديدة، وهو قد روي عن عرب الجاهلية أن الرجل منهم قد يقول في موضع الكفارة والأمنية: "إذا بلغت إبلي كذا وكذا، وكذلك غنمي، ذبحت عند الأوثان كذا وكذا عتيرة، فإذا بلغت إبل أحدهم، وغنمه ذلك العدد، استعمل التأويل وقال: إنما قلت: إني أذبح كذا وكذا شاة والظباء شاء، كما

أن الغنم شاء، فيجعل ذلك القربان شاء كله مما يصيد من الظباء"[28].

لقد لفت هذا النص نظر الجاحظ إلى أن العرب في جاهليتها تعرف أن اللفظ الواحد قد ينقل بين معنيين مختلفين، ألا ترى أن الواحد منهم يصرف لفظة "شاة" عن معناها الحقيقي، لتفيد معنى "الظبي" أن صرف اللفظ، يعني نقله، والنقل أصل مهمّ من الأصول المجازية[29].

3- ابن قتيبة (276هـ): يقف أبو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة، من النصوص المجازية وقفتين متميّزتين: وقفة لغوية تظهر خلال كتابه "تفسير غريب القرآن"، ووقفة تكاد تكون اصطلاحية تظهر خلال كتابه "تأويل مشكل القرآن"، ويعتبر أوّل من أفرد بابين مستقلين لدراسة المجاز والاستعارة[30].

وهو أمعن اصطلاحًا في الدراسة المجازية، حتى يشمل المجاز حسب رأيه جميع أقسام وأساليب كلّ من البيان والبديع والمعاني في البلاغة العربية: حيث يقول: "وللعرب المجازات في الكلام.....، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف والتكرار......." [31].

4- ابن المعتز (296هـ): استعمل عبد الله بن المعتز مصطلح الاستعارة في دراسته المجازية، ولم يذكر شرط توفر المشابهة في تعريفه الذي قدّمه لها، ومما جعل ملاكها تقفّر النقل وحسب، فالاستعارة- كما ذكر ابن المعتز- أن تستعير "الكلمة لشيئ لم يعرف بها من شيئ قد عرف بها، مثل: أم الكتاب وجناح الذلّ......" [32]. ومن المعلوم أن هذا التعريف يشمل الأنواع المجازية كلها سواء توفر بينها داعي المشابهة، أم لم يتوفر.

5- ابن جني(392هـ): تعددت ضروب المجاز عند أبي الفتح عثمان بن جني، لأنها تأتي عنده للاتساع في اللغة، فقال:"من المجاز في اللغة: أبواب الحذف، والزيادات، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى والتحريف: "واسأل القرية". قال ابن جني أنه يؤتى بالمجاز لمعانٍ ثلاثة: الاتساع والتوكيد والتشبيه، "فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[33].

6- ابن رشد (595هـ) :هو عني بالمجاز في البداية الاستعارة والتشبيه عندما قال: "إنّ المجاز استعارة وتشبيه"[34].وكما بيّن دور المجاز في الخروج عن المألوف في الصياغة والتركيب ودلالات الألفاظ، ورأى أنَّ الانحراف يتضمَّن الجانب الصوتي والدلالي والتركيبي في اللغة[35]. هكذا توسع الوليد بن رشد في جعل المجاز عبارة عن التغيير، كما قام بربط التغيير بالقول الشعري، وهو الذي يصنع من القول قولًا شعريا، لأنه يعتمد على تجاوز المألوف من خلال استخدام الصور المبنية على الاستعارة والكناية والتشبيه وأساليب المعاني، مثل التقديم والتأخير والإيجاز والحذف.

لأجل ذلك تعددت ضروب المجاز عنده، بحيث شملت معظم قضايا البلاغة من المعاني والبيان والبديع، فقال في هذا الصدد: "والتغييرات تكون بالموازنة والموافقة والإبدال والتشبيه، وبالجملة بإخراج القول غير مخرج العادة مثل القلب والحذف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير وتغيّر القول من الإيجاب إلى السلب

ومن السلب إلى الإيجاب، وبالجملة من المقابل إلى المقابل، وبالجملة بجميع الأنواع التي تسمى عندنا مجازًا"(36).

7- ابن أبي الإصبع (654هـ): تعددت ضروب المجاز عند زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله ابن أبي الإصبع المصري التي تؤكد أهمية المجاز عند البلاغيين والنقاد العرب ودوره في تشكيل النص الأدبي وبناءه حيث قال: "والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والإشارة والإرداف والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد"(37).

خاتمة البحث

بعد هذه الجولة السريعة، نحن وصلنا إلى:

أن المجاز يعني التجاوز والخروج عن الأصل والمألوف، يلعب دورًا حاسمًا في إثراء وإغناءاللغة في تشكيل النص الأدبي، ومن خلال المجاز تثبت اللذّة والاستفزاز والدهشة عند القارئمثلًا عندما يتحول أسلوب النصِّ أو الكلام من المخاطب إلى الغائب وعكسه، أو منالإيجاز إلى الإطناب وعكسه، أو إلى التورية والكناية وغيرها، يجعل هذا الأمر النص أوالكلام الأدبي أكثر إثارةً ودهشةً وتحفيزًا للقارئ على التأمل بالنص أو الكلام الأدبي ومحاولةتفسيره والكشف عن جمالياته وأسراره، كأن التغيير أي الانحراف عن الأصل والمألوف فيالتراكيب والصياغة الأدبية، هو الفارق الأساسي بين لغة الكتابة العادية المعبّرة عن الحقيقةولغة النصِّ الأدبي المعتمد على الوصف اللغوي.

ولما كانت صور وأساليب المجاز المتعددة، هي خروج وتجاوز للمألوف من قواعد النحو الصارمة في الوصف اللغوي والتعبير عن الأشياء، فقد جسَّد المجاز مع ضروبه المختلفة وأساليبه المتنوعة الطاقة المولّدة للنصِّ الأدبي، فضلًا عن إغناء وإثراء الدلالة الأسلوبية في النصِّ الأدبي، ممَّا تجعل هذا الدلالات الأسلوبية من النصِّ الأدبي وتراكيبه مجالًا للحوار والتأول والتفسير، وقابلة لتعدد المعنى والاحتمالات.

وتعددت ضروب المجاز وأساليبه عند البلاغيين والنقاد واللغويين القدامى والمتأخرين، بحيث شملت كلّ ضروب البيان والبديع والمعاني وأساليبها في البلاغة تقريبًا- كما رأينا- التي تشكِّل جوهر النص الأدبي وأساسه، لأن المجاز يتشكَّل في النص الأدبي من خلال الصورةوالاستعارة والتمثيل والقلب والتشبيه والمبالغة والأمثال والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والزيادة والنقصان والإيجاز والحذف وغيرها.

لذلك اللغة المجازية هي التي تضفي الروعة والجمال على النص الأدبي سواء كان نصًّا شعريًّا أو نثريًّا، والمجاز هو جوهر النص الأدبي وأساسه، فبدون المجاز وضروبه لا يمكن أن تتشكَّل اللغة الأدبية التي تدهش القارئ بحيلها وتمويهاتها الفنية، لأجل ذلك الدور الهامّ للمجاز وأهميته السَّامية في الإبداع والتحريك لذهنية القارئ

ومخيلته في الكشف عن جماليات النصِّ الأدبي وأسراره، أصبح المجاز موضع عناية النقاد العرب واليونان، حيث إن النقاد والبلاغيين بدأً من أرسطو حتى إلى العلماء العرب المتأخرين ناقشوا مصطلح المجاز وتوسَّعوا في مجالاته وتسمياته، بحيث شملت جميع ضروب علم البلاغة وأساليبه تقريبًا، لأنهم أدركوا بأن المجاز هو الذي يعطى النص الأدبي شعرًا أم نثرًا ميزته الفنية واستمراره المتواصل.

قائمة المصادر والمراجع

[1]- التصوير المجازي والكنائي، للدكتور صلاح الدين محمد أحمد، ص12 وما بعدها، جامعة عين شمس، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

[2]- المرجع نفسه، ص15 وما بعدها.

[3]- المجاز في البلاغة العربية، د. مهدي صالح السامرائي، ص13، دار الدعوة، حماة، سوريا، الطبعة الأولى، 1974م.

[4]- التصوير المجازي والكنائي، ص22.

[5]- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، ج1، ص36 ، مصر، 1865م.

[6]- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ص200، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.

[7]- فقه اللغة وسرُّ العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ص29، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1885م .

[8]- الفن والحياة، لإيرول جينكتر، ترجمة أحمد حمدي محمود، ص278، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، 1963م.

[9]- المرجع نفسه، ص28.

[10]- الآراء الدينية والفلسفية، لفيلون الإسكندري، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، ص 60، مصطفى الحلبي وأولاده، مصر .

[11]- المرجع نفسه، ص60، وانظر : مبادئ النقد الأدبي، للأستاذ رتشاردز، ترجمة مصطفى بدوي، ص309-310، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1961م.

[12]- الإيمان، للعلامة ابن تيمية، ص172، نشر الكتب الإسلامي، دمشق، سوريا.

[13]- نفس المرجع، ص 3.

[14]- الكتاب، لسيبويه، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ج3، ص47، دار القلم، بيروت.

[15]- ينظر: التصوير المجازي والكنائي، 25-26.

[16]- ينظر: أسرار البلاغة، ج2، ص134.

[17]- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرح وتحقيق أحمد صقر، ص99، دار إحياء التراث العربية، القاهرة .

[18]- الإيمان، ص53 .

[19]- المرجع نفسه، ص52.

[20]- الخصائص، لابن جني، ج2، ص449، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، 1987م.

[21]- الإيمان، ص35وما بعدها، وانظر: الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، ج2، ص36، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

[22]- التصوير المجازي والكنائي، ص2.

[23]- الصورة البيانية وقيمتها البلاغية، ص221 وما بعدها.

[24]- "المجاز عند ابن سينا وابن رشد" ص 58، مقال لمحمود درابسة، مجلة الدراسات الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، العدد الثالث، 2001م.

[25]- الكتاب، ج1،ص211.

[26]- المصدر نفسه، ج3، ص47-48 .

[27]- تلخيص البيان، ص 11 .

[28]- المجاز في البلاغة العربية، ص 63 .

[29]- المرجع نفسه، ص 63 .

[30]- المرجع نفسه، ص 70 .

[31]- تأويل مشكل القرآن، ص 15- 16 .

[32]- البديع، لابن المعتز، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ص 17، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1945م .

[33]- الخصائص، ج2، ص 448 .نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، لألفت روبي، ص 221، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

[34]- تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ص294، دار القلم، بيروت، 1959م .

[35]- نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص 221 .

[36]- تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر (ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو)، تحقيق عبد الرجمن بدوي، ص 242، دار الثقافة، بيروت، 1973م .

[37]- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حفني محمد شرف، ص487، مطبوعة القاهرة، 1383هـ .